



جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علوم الإعلام والاتصال

المستوى: الثانية ماستر تخصص ' الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة '

مقياس: إثنوغرافيا الجمهور والمستخدمين

المحاضرة السادسة : استخدام المنهج والمقرب الإثنوغرافي في بحوث الإعلام والاتصال :

خاضت بحوث استخدام الوسائط الإعلامية في نهاية السبعينيات تجربة ما اصطلح على تسميته بـ " التحول الإثنوغرافي " في العرف البريطاني الفكري العريض للدراسات الثقافية التي أسسها البريطاني ريتشارد هوجارت والمؤرخ وعالم الاجتماع الإنجليزي إدوارد بي ثومبسون والروائي الماركسي ريموند ويليامز، في أواخر الخمسينيات . وقد كان هذا التحول إيذانا بظهور منهج جديد داخل نطاق دراسات وسائل الاتصال التي كانت يطلق عليها بشكل منوع اسم إثنوغرافيا الجمهور أو الإثنوغرافيا النقدية.

– ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور؟ إلى " ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟

لقد كانت سنوات الثمانينيات من القرن الماضي نقطة التحول ونقل أبحاث الجمهور من دائرة التأثير وإشكالية (ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور؟) بقيادة توجه الدراسات الثقافية مع دافيد مورلي ورفقائه، إلى الاهتمام بعناصر العملية الاتصالية من منطلق الملاحظة الإثنوغرافية ومحاولة الإجابة على إشكالية "كاتز" ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ التي أكدت على عدم سلبية هذا المتلقي وأنّ دوره فعال في عملية بناء المضمون الإعلامي، من خلال تفاعله مع مضامين الوسيلة الإعلامية طبقا لخصائصه وسماته السيكلولوجية وسيكولسانية ،،،،، الخ

ويمكن اعتبار الدراسات الثقافية في معتركها التاريخي قد تأسست على ثلّة من الباحثين المعروفين على مستوى السّياق العالمي منهم الآباء الأولون على غرار كل من "ريشارد هوغارت" و"إدوارد توبسون" و"ريمون وليمس" و"ستوارت هال" و"ديك هبديج" و"دافيد مورلي

– وقد بيّن " ستوارت هال "اهتمامه الواضح بخطاب وسائل الإعلام خاصة التلفزيون، من خلال مقاله الشهير " الترميز وفك الترميز " Codage/décodage " الذي نشره سنة 1981 عبر هذا المقال حدّد هذا الباحث في مرحلة فك الترميز ثلاث مراحل: مرحلة الهيمنة ومرحلة المفاوضة و مرحلة المعارضة وتبعاً للمراحل التي أقرّها "ستوارت

والتي تعكس Frank parkin " هال " في تحليل الرسالة الإعلامية، والتي استلهمها أساسا من نظرية "فرانك باركين الطّبقات الاجتماعية وكيف تكون علاقة الهيمنة والمعارضة والمفاوضة.

- قبل التحول الإثنوغرافي كان محللو وسائل الاتصال ينسبون للتلفزيون قوى هائلة في توجيه الأذواق وآراء الناس والتحكم فيها، وقد نشأت وجهة النظر النظرية هذه من المذهب الماركسي في فرنسا عن طريق الفيلسوف لويس ألتوسير وفي ألمانيا عن طريق تيودور أدورنو وماركس هوركهايمر من مدرسة فرنكفورت، الذي أكد ان وسائل الاتصال كانت أدوات تستخدمها الدولة للدعاية الإيديولوجية السائدة ونشرها.

- وطبقا لرأي ستوارت هول فإنه على العكس من ذلك، لم تكن جماهير المستهلكين مستقبلين سلبيين للمعاني على الإطلاق، بل انهم كانوا يقدمون معانيهم الخاصة بهم، وكان بإمكانهم حتى رفض تلك المعاني التي كانت تقترحها النصوص التلفزيونية

- كذلك ما ظهر في عمل الباحثة الأسترالية : " Yen Ang " والتي حاولت من جانبها تحليل المسلسل التلفزيوني الأمريكي " Dallas " وحدود المتعة المحققة لدى الجمهور المتلقي، وبهذه الأعمال الإثنوغرافية الإمبريقية، تقرأ الباحثة الأسترالية أنه لا يمكن اختزال التلقي في عملية نفسية لكن يجب الاعتراف بأنه عملية ثقافية، وعليه فإن الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي للمعنى المتضمن في العملية الثقافية لا تخص المعنى ولكن تهدف إلى تبيان السلطة الموجودة في الرسالة.

ثانيا: المراكز والباحثون :

كان هناك ثلاث معاهد أساسية مشاركة في إثنوغرافيا التلقي: ومنها في علوم الاعلام والاتصال مركز الدراسات الثقافية المعاصرة (CCCS) في جامعة برمنجهام، ومركز الأبحاث للتجديد والابتكار والثقافة والتكنولوجيا بجامعة برنول ببريطانيا، ومعهد لودويج أوهلاند الألماني للدراسات الثقافية الإمبريقية (EKW) بجامعة توبنغن. ومع ذلك كانت أول دراسة تستفيد استفادة شاملة من منهج البحث الإثنوغرافي مشروعاً أمريكياً استغرق تنفيذه ثلاثة سنوات من طرف جيمس لو Lull 1980 حول الفوائد الاجتماعية للتلفزيون من خلال العائلات (.تم القيام بهذه الدراسة في ويسكونسنين بكاليفورنيا، حيث أجريت الملاحظات والمقابلات على عينة مكونة من 300 أسرة، أمضى الملاحظون فترات ما بعد الظهر وأمسيات كاملة في صحبة أعضاء الأسرة، كما كانوا يلعبون مع أطفالها ويشاهدون التلفزيون معهم

- وضمن منحى آخر، يعود الفضل الأساسي أو القاعدي لأبحاث ستوارت هال بداية، ودافيد مورلي في المرحلة الثانية، لكن لا يمكن التنكر للإسهامات الفعالة للتوجهات ما بعد البنيوية خاصة أعمال رولان بارت ولفي سترواس التي ظلت واضحة في أعمال المدرسة الثقافية حينما نقل باحثوها الاهتمام من ثنائية: مؤلف - نص (إلى) ثنائية: نص - متلقي (وخاصة أعمال رولان بارت في استجلاء المعنى من النصوص، وكيف تتمظهر الأيدولوجيا في الدلالة. وإذا وضعت الدراسات السيميائية القراءة وظروفها كشرط لعملية التلقي فإن البحوث الإعلامية وضعت المشاهدة كفضاء لعملية التلقي، وهذا ما بدأ واضحاً في عمل دفيد مورلي الذي تمكن من حصر التلقي للمضمون

الإعلامي سواء فيما بين أفراد العائلة أو بين العائلات الأخر التي شملها البحث، وكتب ستيوارت هال في مقدمة كتاب دفيد مورلي الذي خصّصه للعائلة والتلفزيون "أن التصورات الفردية للمشاهد وللجمهور وحتى للتلفزيون ذاته قد ارتحلت نهائيا على الأقل _حسب ما نتمناه_ بفضل التشديد علما لاختلافات والمتغيرات، وإن خريطة التغيرات ناتجة عن العوامل التي تتغلغل في السياقات الاجتماعية للتلقي التي شرع مورلي في إنجازها وان ما تكتشفه هذه الخريطة وصفة عامة، هو التفاعلات الرقيقة بين المعنى والمتعة والاستخدام والاختيار.

- خلاصة : ومن خلال ما سبق يمكن القول أن اغلب تلك الدراسات والأبحاث قد تمكّنت من نقل الاهتمام من البحث في التأثير إلى الحث في التلقي ومن البحوث الكمية إلى البحوث الكيفية، وحصرت عملية التلقي في السياق الطبيعي للمنزل من خلال فعل المشاهدة ، وهو ما أعطى دفعا قويا للمقترح الاثنوغرافي في علوم الإعلام والاتصال مما جعل مجالات تطبيقه تتسع لتصل للوسائط الجديدة او ما يصطلح بتسميته ب: (اثنوغرافيا الانترنت ، او التثوغرافيا ، او الاثنوغرافيا الافتراضية ... الخ)